دوائر البيان

في دلالة تذييل آيات القرآن بـ (كفى بالله)

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، يُبَشِّر المؤمنين السائرين علىٰ دربه بفضل منه ومِنَّة، ويُنْذِر الخارجين عن حدوده بعذاب منه ونقمة، والصلاة والسلام علىٰ مَنْ شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره -محمد ﷺ-، ورضي الله عن الصحب الكرام الأخيار وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ الصاحين من عباد الله ﷻ يحيون في قصور شامخات من العزة والرفعة والكرامة مهما اختطفت أحلامهم أو ساءت أحوالهم، ولكن المفسدين منهم تتعالىٰ صرخاتهم وتزداد آلامهم فيشعرون بالشقاء والحرمان وإن كان لهم في سعة الديار والأموال رصيد الملوك والأمراء.

وعلىٰ ذلك فمن بني البشر مَنْ تمكِّنه خبراته من تحدِّي العقبات ومصارعة الخطوب والأزمات فيسكن في دائرة عنوانها الإيمان واليقين، والتي يكتفي فيها بربه عمن سواه، فيكفيه الله الهموم والأحزان فيسعد بداري الدنيا والآخرة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ **[النساء: 45]**، ومنهم من تقلِّبه الرياح يمنة ويسرة فتسقط أوراق حياته، ويقبل خريف عمره قبل أن يبدأ ربيعه فتغلُّه دائرة عنوانها الكفر والنفاق؛ وذلك لأنه آثر الكذب واتخذه دليلاً ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ **[النساء: 50]**، فاكتفىٰ بنفسه عمن سواها فوكله الله إليها، ويوم القيامة ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ **[الإسراء: 14]**، ثم تغرب شمسه ويأفل نجمه فيصلىٰ عذاب النار ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ **[النساء: 55]**.

وهذا البحث الموجز يكتفي بـ (كفىٰ بالله) في القرآن الكريم[1]، ليس لكفاية الكذب أو النفس أو جهنَّم فيه من نصيب، يقدِّمه الباحث في ثماني دوائر، كل

(1) إضافة إلىٰ (كفىٰ بنا) و (كفىٰ به) و (كفىٰ بربك).

دائرة منها تحتوي علىٰ اسم أو اسمين من أسماء الله الحسنىٰ يحكمها الترتيب الألفبائي يسبقها التمهيد ويتوِّجها الخاتمة، ترىٰ فيه قمة التلاؤم والتوافق والتناغم بين قطر أو أقطار كل دائرة ومركزها، فتلمح فيه جمال التذييل بأسمائه الحسنىٰ وأثره الدلالي، وإعجازه البارع في تناسبه البديع في وسط الآية أو ختامها مع مقصد كل نصٍّ وغايته وما أضافه من تحقيق وتوكيد له، فتجد التفاعل بين كلمات النص الواحد، وكأنَّ بداية النص تنادىٰ علىٰ خاتمته، فكيف يدعو الإنسان ربَّه وبأسمائه الحسنىٰ بما يتفق مع مقصده وغايته؟ وذلك من خلال عنوان: **(دوائر البيان في دلالة تذييل آيات القرآن بـ (كفىٰ بالله).**

التمهيد: ويشتمل علىٰ:

أ- دلالة التذييل.

ب- فائدة التذييل وصوره.

ج- دلالة كفىٰ بالله.

الدائرة الأولىٰ: وكفىٰ بالله حسيبًا.

الدائرة الثانية: وكفىٰ به بذنوب عباده خبيرًا.

الدائرة الثالثة: وكفىٰ بربِّك بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا.

الدائرة الرابعة: وكفىٰ بالله شهيدًا.

الدائرة الخامسة: وكفىٰ بالله عليمًا.

الدائرة السادسة: وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا.

الدائرة السابعة: وكفىٰ بالله وكيلاً.

الدائرة الثامنة: وكفىٰ بالله وليًّا وكفىٰ بالله نصيرًا.

الخاتمة: عرض أهم نتائج البحث.

وبعد، فهذه دوائر مَنْ أشرقت شموس حياتهم، وأنار القمر دروب ظلامهم فهتفت عقولهم وقلوبهم بكفاية الله ﷻ لهم إيمانًا وتصديقًا ويقينًا، فليتأس بهم

الغارقون في بحار المعاصي والذُّنوب لعلَّ الرَّحمة أن تصيبهم كما أصابت مَنْ كان قبلهم خاصَّة في هذا العصر الذي توارىٰ فيه النَّهار وأقبل فيه الظَّلام بكل معطياته وأدواته.

فإذا ترك الخارج عن حدود الله لنفسه العنان وانتقل بفكره وقلبه من دائرة إلىٰ أخرىٰ، أو قل من روضة إلىٰ أخرىٰ لعادت إليه نسمات الإيمان التي فقدها وجنَّات النَّعيم التي حرم نفسه منها.

أدعو الله ﷻ أنَّ ما تُسَطِّره الأقلام وتُسَجِّله الأفكار يقرِّبنا منه ومن جنِّته، ويباعد بيننا وبين النَّفس والشَّيطان ومن ناره، فإن أخطأت التعبير أو أسأت الفهم والتَّقدير فاغفر اللهم لي ما قصرت فيه، وارحمني برحمتك التي وسعت كل شيء وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: 25: 28].

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

اتسعت لغة الحوار في العصر الحديث نظرًا لتعدُّد وسائل الاتصال واختلاف أشكاله وألوانه، وواكبت الجملة العربية هذا التَّقدم، وأثبتت أنها أداة الخطاب التي تتحكم في إدارة هذه العملية، فهي التي تترجم المشاعر والأفكار والأحاسيس إلىٰ عبارات مقروءة أو مسموعة في صورة يظنها الظانُّ ضربًا من الخيال، والتذييل علامة من علامات هذه اللغة، وما أجمل أبجدياته إذا كان ينتهي بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا؟

أ- دلالة التذييل

ذكر الزركشي في القسم الرابع والعشرين أن «التذييل مصدر (ذَيَّل) للمبالغة وهي لغة جعل الشيء ذيلاً للآخر[1]، واصطلاحًا: أن يؤتىٰ بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنىٰ الأول تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنىٰ عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه»[2].

وبعبارات متقاربة تحمل الدلالة نفسها قيل هو: «إعادة الألفاظ المترادفة علىٰ المعنىٰ حتىٰ يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه، وهو ضد الإشارة والتعريض، وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف الحافلة؛ لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ علىٰ المعنىٰ الواحد توكد عند الذهن اللَّقِن وصحَّ للكليل البليد»[3].

---

(1) **فالذَّيْل**: آخر كل شيء. لسان العرب لابن منظور الإفريقي. تحقيق. علىٰ عبدالله الكبير وآخرين، (ذ ي ل) 3/ 1529 - دار المعارف.

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم 3/ 68 - دار الجيل - بيروت - لبنان - 1408هـ-1988م.

(3) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبي هلال العسكري. تحقيق. علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ص373 - المكتبة العصرية - بيروت 1406هـ-1986م. =

وعلىٰ ذلك فإن تفاوتت العقول في فهم حقيقة النصوص فإن التذييل باب من أبواب البيان لمن به قصور، وتأكيد لأصحاب الريادة والسيادة في تحليل ومعرفة دقائق الأمور.

إذًا فالتذييل في علم المعاني هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل علىٰ معناها للتوكيد[1].

ب- فائدة التذييل وصوره

التذييل باب من أبواب ثراء الدلالة له قيمته وأهميته التي لا يحققِّها غيره، فهو نوع من أنواع الإطناب في علم المعاني والذي تزيد فيه الألفاظ وتكثر ولكن من أجل تحقيق الفائدة، فـ «للتذييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير لأن المعنىٰ يزداد به انشراحًا والمقصد اتضاحًا»[2].

وإذا كانت دلالة الألفاظ علىٰ المعاني تأتي من خلال أبواب الإشارة والتذييل والمساواة فإنهم «قالوا إن التذييل يصلح للمواقف الجامعة وحيث يكون الكلام مخاطبًا به عامَّة الناس ومن لا يسبق ذهنه إلىٰ تصور المعنىٰ. والإشارة تصلح لمخاطبة الخلفاء والملوك ومن يقتضي حسن الأدب عنده التخفيف في خطابه وتجنب الإطالة فيما يتكلف سماعه. والمساواة التي هي الوسط بين هذين الطرفين من الإشارة والتذييل تصلح للوسط بين الطرفين اللذين هم الملوك وعامة الناس»[3].

= وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبدالقادر البغدادي. تحقيق. محمد نبيل طريفي، ايميل بديع يعقوب 1/ 242 - دار الكتب العلمية 1998م، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص207 - دار الكتب العلمية - 1402هـ-1983م.

(1) الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق. بهيج غزاوي ص190 - دار إحياء العلوم - بيروت - 1419هـ-1998م.

وينظر: المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية 1/ 330 - الطبعة الثالثة 1392هـ-1972م، وعلوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) د. أحمد مصطفىٰ المراغي ص237 - دار الآفاق العربية.

(2) كتاب الصناعتين 1/ 373.

(3) سر الفصاحة 1/ 207.

ومن خلال صورتين يجري التذييل في الاستعمال:

الصورة الأولىٰ:

صورة من لا يخرج مخرج المَثَل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه علىٰ ما قبله كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: 17] إن قلنا إن المعنىٰ وهل يجازي ذلك الجزاء.

الصورة الثانية:

صورة من يخرج مخرج المَثَل كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: 81][1]، فيقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جار مجرىٰ الأمثال في الاستقلال وفشو الاستعمال[2].

والقسم الثاني هو عنوان فكرة هذا البحث، وعليه تدور الدوائر الثمانية، كل دائرة قد تسكن فيها فكرة واحدة أو عدة أفكار، بل قل قطر واحد أو عدة أقطار، ترىٰ فيها الجواب قبل السؤال، والتوادّ والتراحم قبل الخصام؛ لأنها دوائر المحبين الذين كان ومازال كتاب الله ﷻ دليلهم، وهدي النبي محمد ﷺ دستور حياتهم.

جـ- دلالة كفىٰ بالله

ذكر صاحب المصباح أن «كفىٰ الشيء يكفي كفاية فهو كافٍ: إذا حصل به الاستغناء عن غيره، واكتفيت بالشيء: استغنيت به أو قنِعتُ به»[3].

و «الله جل جلاله: هو اسم للمعبود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت

(1) الإيضاح في علوم البلاغة ص190، 191.

(2) مختصر المعاني. سعد الدين التفتازاني ص168 - دار الفكر - الطبعة الأولىٰ 1411هـ.
وينظر: المفصل في علوم البلاغة العربية د. عيسىٰ علي العاكوب ص336، 337 - دار القلم بالإمارات العربية المتحدة - دبي - الطبعة الثانية 1426هـ-2005م، وعلوم البلاغة ص237، 238.

(3) المصباح المنير للفيومي (ك ف ي) ص205 - مكتبة لبنان.
وينظر: لسان العرب 5/ 3907، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية 5/ 163 - الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث - القاهرة - 1409هـ-1989م.

بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، فإن كل موجود سواه غير مستحق للوجود بذاته»[1].

فـ «(الله) دال علىٰ جميع الأسماء الحسنىٰ، والصفات العليا، بالدلالات الثلاث (المطابقة والتضمن واللزوم)»[2].

وأما إذا انضمت (كفىٰ) إلىٰ لفظ الجلالة (الله) كما في قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ اتجهت العبارة إلىٰ الأمر علىٰ دلالة (اكتفىٰ بالله)، فالباء فيها للتوكيد، «وكل ما في القرآن من قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ و﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ﴾ فلو ألقيت الباء كان الحرف مرفوعًا كما قال الشاعر[3]:

ويخبرني عن غائب المرء هَدْيُه كفىٰ الهدي عما غَيَّبَ المرء مُخْبرا

وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يمدح به صاحبه»[4].

قل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وافتح باب هذه الدوائر الثمانية حتىٰ ترىٰ بنفسك آلاء الله وجميل فضله عليك، فلا تيأس ولا تحزن في عالم عنوانه (وكفىٰ بالله) وكفىٰ بها من نعمة.

الدائرة الأولىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾

مَنْ يحزن قلبه أو تدمع عينه في عالم قد كفىٰ الله فيه الإنسان أمره، وأصلح له شأنه، ووقاه شَرَّ نفسه خاصَّة إذا كان من الراضين بحكمه القائمين علىٰ تنفيذ حدوده؟

---

(1) المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ للغزالي ص40 - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(2) ينظر: شرح أسماء الله الحسنىٰ علىٰ ضوء الكتاب والسنة (توضيح وبيان) سعيد بن علي القحطاني ص47 - دار الإيمان - إسكندرية.

(3) هو زيادة بن زيد العدوي. والبيت في لسان العرب (هـ د ي) 6/ 4640، وخزانة الأدب 11/ 182.

(4) معاني القرآن للقراء. تحقيق. أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار 2/ 119 - الدار المصرية للتأليف والترجمة - الطبعة الثالثة 1403هـ-1983م.

وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج. تحقيق د. عبد الجليل شلبي 1/ 57 - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الثانية 1418هـ-1997م، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ص657 - مكتبة الأنجلو المصرية 1970م.

وقد التقىٰ بمركز هذه الدائرة ثلاثة أقطار، لكل قطر منها عنوانه وحواره الخاص به، والذي ترىٰ فيه مدىٰ الترابط الذي يجمع بينهما.

القطر الأول: الشهادة علىٰ دفع أموال اليتامىٰ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء: 6].

يسيل لعاب بعض الأوصياء علىٰ أموال اليتامىٰ أمام هذا الابتلاء، فيظنون أن الدنيا قد أهدت إليهم هذه الهدية علىٰ سبيل الهبة أو الغنيمة فتخور قواهم وتنهار مبادئهم، فيبعث الله ﷻ لهم بهذه المعايير والضوابط أو قل التوصيات والتوجيهات حماية لأنفسهم من ظلمهم إياها مذيِّلاً إياها بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾.

واسم الله (الحسيب) هنا قد يحمل علىٰ دلالة المحاسب أو الكافي، حيث «قال ابن الأنباري والأزهري: يحتمل أن يكون الحسيب بمعنىٰ المحاسب، وأن يكون بمعني الكافي، فمن الأول قولهم للرجل للتهديد: حسبه الله ومعناه يحاسبه الله علىٰ ما يفعل من الظلم، ونظير قولنا الحسيب بمعنىٰ المحاسب، قولنا الشريب بمعنىٰ المشارب، ومن الثانىٰ قولهم: حسيبك الله، أي كافيك الله. واعلم أن هذا وعيد لولي اليتيم وإعلام له أنه تعالىٰ يعلم باطنه كما يعلم ظاهره لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل، ويقوم بالأمانة التامَّة في ذلك إلىٰ أن يصل إليه ماله، وهذا المقصود حاصل سواء الحسيب بالمحاسب أو بالكافي»[1].

وعلىٰ ذلك فـ «(كفىٰ بالله حسيبًا) أي كافيًا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض، أو محاسبًا، فعليكم بالتصادق، وإياكم والتكاذب»[2].

(1) مفاتيح الغيب للفخر الرازي 9/ 157 – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولىٰ 1421هـ–2000م.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري 1/ 476 – دار الكتاب العربي.

وقد يتم توجيه دلالة (الحسيب) هنا نحو الشهيد، حيث قيل «(وكفىٰ بالله حسيبًا) يعني شهيدًا في أمر الآخرة، وأما في أمر الدنيا فينبغي أن يشهد العدول علىٰ ذلك ليدفع القالة عن نفسه؛ لأن الله تعالىٰ لا يشهد له في الدنيا»[1].

وفي هذا ضمان لآداء الحقوق إلىٰ أهلها، فـ «لا شاهد أفضل من الله بيني وبينكم»[2].

«وإنما قال (حسيبًا) ولم يقل (شهيدًا) مع مناسبته، تهديدًا للأوصياء لئلا يكتموا شيئًا من مال اليتامىٰ، فإذا علموا أن الله يحاسب علىٰ النقير والقطمير، ويعاقبهم عليه انزجروا عن الكتمان»[3].

وبهذا التذييل الذي ختمت به الآية تهدأ قلوب اليتامىٰ وتطمئن جوارحهم، وفي الوقت ذاته يحذر الأوصياء من عذاب ربهم وعقابه، فاسم الله (الحسيب) مصباح أطفأ جميع دياجير الظلام التي يمكن أن تسيطر علىٰ ضعاف النفوس أو أن تتحكم في توجيهها. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

القطر الثاني: القيل والقال في زواج النبي ﷺ

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ **[الأحزاب: 38، 39].**

إن إثارة الشبهات أقوىٰ بكثير من إثارة الشهوات، فربما تودي الشبهة بحياة أمة خاصَّة إذا تمكَّنت منها وسيطرت عليها ولم تُحَكِّم منهج الله ﷻ فيها.

وقد أشرقت بهذه الآيات قلوب الموحِّدين وأضاءت بصائرهم وأظلمت بها مَنْ في قلوبهم مرض، وتبخَّرت من خلالها أحلامهم، فقد «سَنَّ الله سنة

(1) بحر العلوم للسمرقندي (تفسير السمرقندي). تحقيق د. محمود مطرحي 1/ 308 - دار الفكر - بيروت.

(2) تفسير ابن أبي حاتم. تحقيق. أسعد محمد الطيب 3/ 871 - المكتبة العصرية - صيدا.

(3) البحر المديد لابن عجيبة 2/ 12 - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - 1423هـ-2002م.

في الأنبياء، وهو أن لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسَّع عليهم في باب النكاح، وغيره فإنه كان لهم الحرائر والسراري، فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية، فكذلك سَنَّ لمحمد ﷺ التوسعة عليه كما سَنَّ لهم ووسَّع عليهم»[1].

وبذلك انتفت شبهة الكائدين وزال مكر الماكرين، فتراجع الباطل أمام نور الحق، ليس فقط ذلك بل زاد ربُّنا عز وجل الأمر تأكيدًا وتحقيقًا بهذا التذييل الرائع تهدئة لقلب نبيه ﷺ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

و(الحسيب) هنا بمعنى الكافي أو المحاسب و المجازي، فهو سبحانه وتعالى حاضر في كل مكان يكفي عباده كل ما يخافونه أو محاسبًا لهم في كل شيء[2]، فكفاك يا محمد بالله حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبًا لهم عليها[3].

إذًا فهذه «سنة في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدُّوها وقاموا بها أتمَّ القيام، وهو دعوة الخلق إلى الله، والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك كل محظور، دلَّ ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه»[4].

ومن هنا فقد جرى ذلك وفق أمر الله عز وجل وقدره لم يكن لهوى النفس فيه من نصيب، وقدَّمت الآيات الحجج والبراهين على صدق ذلك فبرئت ساحة النبي ﷺ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) علاء الدين البغدادي 5/ 264 - دار الفكر - بيروت - لبنان - 1399هـ-1979م.

(2) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني 4 / 285 - دار الفكر - بيروت.

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. تحقيق. أحمد محمد شاكر 20/ 276 - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - 1420هـ-2000م.

(4) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي). حققه. عبدالرحمن بن معلا ص666 - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى 1420هـ-2000م.

القطر الثالث: العَدُّ والإحصاء

قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

لم يشهد هذا العصر تقدمًا هائلاً في مجال تكنولوجيا المعلومات فحسب، ولكنه شهد أيضًا تقدمًا في مجال خداع الناس وتضليلهم حتىٰ غدا حرفة النابهين -أرباب الفكر السديد والعقل الرشيد-، فانطلقت أفكارهم الخبيثة تُسَجَّل في موسوعات تشهد ببراعتهم وحسن إدارتهم، يعتزون بذلك ويفخرون به، ولكنهم نسوا أو تناسوا أن هذا الأمر يُسَجِّل عليهم أرقامًا خيالية من الذنوب والمعاصي قد تنساها ذاكرتهم ولا تستطيع شبكة المعلومات أن تحصيها وتُسَجِّلها عليهم بالرغم من وجود كثير من برامج الإحصاءات الدقيقة والمنظمة، ولكن سجلات الآخرة تلتقطها وتُسَجِّلها بعدل وإنصاف ودقة وإتقان فتحصيها عليهم وتدوِّنها وتبديها لهم في يوم تشخص فيه الأبصار.

وقد أصدر الله ﷻ قانونه الفصل بين عباده إجمالاً بقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾، ثم فصَّله معقبًا وشارحًا بقوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

و(الحسيب) في هذا النص تتنوَّع دلالته إلىٰ عدة أنواع:

الدلالة الأولىٰ: العدُّ والإحصاء

ذهب كثير من علماء التفسير إلىٰ أنَّ لفظة (حاسبين) في الآية تتجه نحو هذه الدلالة، «أي عادِّين ومحصين أعمالهم علىٰ أنه الحساب مرادًا به معناه اللغوي وهو العَدّ»[1].

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي 17/56 - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الدلالة الثانية: العلم والحفظ

عن (حاسبين): «قال ابن عباس: عالمين حافظين، لأنَّ من حسب شيئًا علمه وحفظه. والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان عالمًا بحيث لا يمكن أن يفوته شيء وكان في القدرة بحيث لا يعجز عن شيء، فحقيق بالعاقل أن يكون شديد الخوف منه»[1].

الدلالة الثالثة: الحساب والجزاء

قيل إن (حاسبين) في الآية يجوز «أن يكون كناية عن المجازاة»[2].

الدلالة الرابعة: سرعة الحساب

يسير العالم بجميع مخلوقاته وفق أمر الله وإرادته، يحاسبهم ربهم في زمان يسير لا يعلم حقيقته إلا هو، حيث «قيل (حاسبين) إذ لا أحد أسرع حسابًا منَّا»[3].

وبالرغم من تفوق الدلالة الأولىٰ إلا أن الدلالات الأخرىٰ محتملة يؤيدها السياق القرآني، وكأنها مراحل تدريجية في عالم الدلالة تبدأ بعالم الإحصاء والعدِّ الذي يُمَثِّل بداية الحساب، فإذا أحصيت دلَّ ذلك علىٰ علم الله وحفظه، ثم يكون الجزاء من جنس العمل، كان ذلك يتم في لحظات لا يعلم مقدارها إلا هو ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62].

فهذا الترابط البديع والتناسب العجيب بين مركز هذه الدائرة وأقطارها يجعل القلوب دائمًا تتعلق باسم ربها (الحسيب): «الكافي للعباد جميع ما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضارِّ. والحسيب بالمعنىٰ الأخص هو الكافي لعبده المتقي المتوكل عليه كفاية خاصة يصلح بها دينه ودنياه. والحسيب

(1) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل. تحقيق. عادل أحمد عبدالموجود وآخرين 13/ 514 - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولىٰ 1419هـ-1998م.

(2) روح المعاني 7/ 56.

(3) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق. هشام سمير البخاري 11/ 294 - عالم الكتب - الرياض - المملكة العربية السعودية - 1423هـ-2003م.

أيضًا هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشرّ ويحاسبهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ»[1].

الدائرة الثانية: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾

تبعث النفس برقية عزاء إلىٰ هؤلاء الذين يعلمون أن للكون ربًّا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ومع ذلك تنهمر سماؤهم بالذنوب والمعاصي خاصَّة إذا ما خلوا بأنفسهم فيدعونها إلىٰ مائدة حَرَّم الله ﷻ عليهم الأكل منها أو النظر إليها، فتئن الأرض من تحت أقدامهم وتلعنهم كما لعنت أمثالهم ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

فاسم الله (الخبير) هو مركز هذه الدائرة الذي تلجأ إليه قلوب الموحدين عامة، وقلب النبي محمد ﷺ خاصَّة، ويفزع منه الخارجون عن حدوده، لم يمر به سوىٰ قطر واحد عنوانه (التوكل علىٰ الله والتسبيح بحمده).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ **[الفرقان: 56-58].**

بالحكمة والموعظة الحسنة هذا منهج الله الذي شرعه لنبيه محمد ﷺ في الدعوة إليه وفي هداية أمته، يبشِّرهم بجنَّة ربهم ويحذِّرهم من ناره، لا يبغىٰ بذلك مالاً ولا جاهًا ولا سلطانًا، ولكن ماذا لو ضلَّ أكثر البشر السّبيل واتبعوا السُّبُل؟

الجواب: «﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾: أي اعبده وصَلِّ له شكرًا منك علىٰ نعمه، وقيل: احمده منزهًا له عمَّا لا يجوز في وصفه، وقيل: قل سبحان الله والحمد لله»[2].

---

(1) شرح أسماء الله الحسنىٰ ص138.

وينظر: المقصد الأسنىٰ ص86، وأسماء الله الحسنىٰ آثارها وأسرارها د. محمد بكر إسماعيل ص159 - دار المنار - الطبعة الأولىٰ 1421هـ-2000م.

(2) الكشف والبيان للثعلبي. تحقيق. أبي محمد بن عاشور 7/ 142 - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 1422هـ-2003م.

ثم يأتي التذييل في ختام الآية والذي يُذيل به الله ﷻ عن نبيه ﷺ كل همٍّ وكرب، ويبعث في قلب أمته الحياة مهما كثر أعداؤها وتكالبت عليها الأمم. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

و (الخبير) في هذا النص قد يحمل علىٰ دلالته الحقيقية التي تتجه نحو العلم، أو المجازية التي تتجه نحو الحساب والجزاء، وهذا «يعنىٰ أنه تعالىٰ علاَّم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها. وقيل: معناه أنه لا يحتاج معه إلىٰ غيره لأنه خبير عالم قادر علىٰ مكافأتهم وفيه وعيد شديد، كأنه إذا قدمتم علىٰ مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة»[1].

ف «العلم بالذنوب كناية عن لازمه وهو أن يجازيهم علىٰ ذنوبهم، والشرك جامع الذنوب، وفي الكلام أيضًا تعريض بتسلية الرسول ﷺ مع ما يلاقيه من أذاهم»[2].

فسبحانه وتعالى العالم بحال عباده والمطلع عليها وخاصة الباطن منها، والقادر علىٰ حسابهم والمجازي عليها، فأنت في دائرة الخبير أينما وحيثما كنت، و «هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، ولا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرة. وهو بمعنىٰ العليم، لكن العلم إذا أضيف إلىٰ الخفايا الباطنة سمىٰ خبرة، وسمي صاحبها خبيرًا»[3].

الدائرة الثالثة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾

في مقام عرض الدعوة إلىٰ الله ودور النبي ﷺ في حياة أمته أعلنت الدائرة السابقة عن نفسها بعلمه ﷻ بذنوب عباده وخاصة الباطن منها، فكان (التوكل علىٰ الله والتسبيح بحمده) هو حلقة الوصل الذي يصل المسلم بربه، ومن ثم يصل قطر الدائرة بمركزها.

(1) تفسير الخازن 5/ 106.

(2) التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور 19/ 60 - دار سحنون - تونس 1997م.

(3) المقصد الأسني ص76.

ولكن عندما يخرج كثير من بني البشر عن فطرتهم وصمتهم ويبارزون ربهم ﷻ بالمعاصي، ويعلنوها صريحة دون حياء أو خجل، أو تورية من قول أو تواري من فعل كان لابد من أن يكون المقام أشدّ وأقوىٰ إعلانًا عن خطر قد يؤدي بحياة الأمة ويجعلها في عالم الذكريات كحال من قبلها.

لذلك لم تكتف هذه الدائرة باسم واحد فقط من أسمائه الحسنىٰ بل أعلنت عن اسمين، وذلك بالتذييل في ختام الآية؛ فليس ربُّنا ﷻ خبيرًا فقط بذنوب عباده بل بصيرًا بها أيضًا .﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 17].

لم تُجْد أساليب الخطاب مع مشركي مكة، ولم يكن نهارهم بأسعد حظًّا من ليلهم، فكلما فتح الحق بابًا كلما فتحت أمامه أبوابًا من الشر حتىٰ يأس الصلاح نفسه من إصلاحهم، فأبىٰ لين القول والدعوة إلىٰ الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة أن يكون مدخلاً إلىٰ هداية قلوبهم، فربما يتحقق الهدف عند تذكيرهم بحال من سبقوهم ممن كذَّبوا الرسل من الأمم السابقة قبلهم بأنهم علىٰ نهجهم سائرون وبآثارهم مقتفون، يؤكده التذييل في ختام الآية، وفي الوقت ذاته يطِّيب به ربُّنا ﷻ قلب النبي ﷺ ويُثَبِّته باسمين من أسمائه الحسنىٰ.

واسم الله الخبير عندما يتجاور مع اسمه البصير تزداد القلوب اطمئنانًا، فـ «حسبك يا محمد بالله خابرًا بذنوب خلقه عالمًا، فإنه لا يخفىٰ عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم من خلقه، وهو بجميع ذلك عالم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا بأصغر من ذلك ولا أكبر»[1].

إذًا فمفردات العالم كله تنطق بأنه ﷻ «عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات فلا يخفىٰ عليه شيء من أحوال الخلق، وثبت أنه قادر علىٰ كل

(1) جامع البيان 17/ 407.

الممكنات فكان قادرًا علىٰ إيصال الجزاء إلىٰ كل أحد بقدر استحقاقه. وأيضًا أنه منزه عن العبث والظلم. ومجموع هذه الصفات الثلاث أعنىٰ العلم التام، والقدرة الكاملة، والبراءة عن الظلم بشارة عظيمة لأهل الطاعة، وخوف عظيم لأهل الكفر والمعصية»[1].

وبعد ذلك قم بزيارة هذا النص عند أهل التفسير فستجد ترجمة واضحة لهذا التذييل: «(وكفىٰ بربك) أي المحسن إليك بالعفو عن أمتك وأعقابهم من الاستئصال (بذنوب عباده) أي لكونه خلقهم وقَدَّر ما فيهم من جميع الحركات والسكنات (خبيرًا) من القدم، فهو يعلم السرّ وأخفىٰ، وأما أنتم فلستم هناك، فكم من إنسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين، ثم أسفرت عاقبته عند الامتحان علىٰ أنه من أضل الضالين (بصيرًا) بها، إذا وقعت لا يخفىٰ عليه شيء منها، وأما أنتم فكم من شخص كنتم ترونه مجتهدًا في العبادة، فإذا خلا بارز ربَّه بالعظائم»[2].

فليحذر أهل المعاصي من غضب الخبير البصير ﷻ، فقد تكون النعمة بعدها نقمة، والحسن بعده سوء، لأن في كونه خبيرًا بصيرًا بذنوب عباده فيه «تهديد لهذه الأمة لكي يطيعوا الله ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم»[3].

فسبحانه وتعالى الخبير بالأمور الباطنة، والبصير «الذي يشاهد ويرىٰ حتىٰ لا يعزب عنه ما تحت الثرىٰ»[4].

الدائرة الرابعة: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

يوم يشهد الحق بنفسه تنكشف الحجب ويتوارىٰ الباطل خجلاً وحياء، فترىٰ الأقلام التي طالما نسجت وسَطَّرت قصص الكذب والخداع والأساطير والخرافات

(1) مفاتيح الغيب 20/ 142.

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. تحقيق. عبد الرازق غالب المهدي 4/ 371 – دار الكتب العلمية – بيروت 1415هـ.

(3) تفسير السمرقندي 2/ 305.

(4) المقصد الأسني ص65.

في حالة مكاشفة مع نفسها فتعلن الخضوع و الاستسلام، وبعد أن كان الكذب مباحًا وبواحًا لم يجد له في ظل مركز هذه الدائرة بقاء وحياة، فتزول آثاره وتنقطع أخباره، فقد أيقنوا الآن أن الله ﷻ مطلع علىٰ جميع حركاتهم وسكناتهم، بل وشاهد يوم القيامة علىٰ جميع أقوالهم وأفعالهم حتىٰ يميز الخبيث من الطيب. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

وقد ختمت ثمان آيات بهذا العنوان علىٰ سبيل التذييل، وذلك للتأكيد علىٰ ثلاث حقائق، كل حقيقة منها تصل قطر الدائرة بمركزها، فتثبِّت الحق في قلوب المؤمنين الصالحين، وتنزعه من قلوب الكافرين والمنافقين، فترىٰ هذه المشاهد حيَّة تنطق بلسان الحال واليقين أن الحقَّ حقٌّ والباطل باطل ولو كره المشركون نكتفي بذكر آية في كل قطر منها.

القطر الأول: رسالة النبي الخاتم محمد ﷺ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ **[النساء: 79]** وينظر: **[الرعد: 43، والإسراء: 96، والفتح: 28].**

الليل والنهار من الثوابت في كون الله ﷻ لا يتخلف أحدهما عن الآخر بل يتعاقبان دائمًا، والشمس والقمر كل منهما يجري في مداره، لا ينكر ذلك أحد ولا يجادل مجادل، فكذلك رسالة النبي الخاتم محمد ﷺ، فهي آية صدق وحقّ ويقين علىٰ أرض الواقع، والتذييل في ختام الآيات بيِّنة وحجة علىٰ عباد الله ﷻ لا مجال فيه للتزوير أو التلفيق، فـ «(كفىٰ بالله شهيدًا) علىٰ أنك رسول الله حقًّا بما أيدك بنصره والمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة، فهي أكبر شهادة علىٰ الإطلاق، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ **[الأنعام: 19]**، فإذا علم أن الله تعالىٰ كامل العلم، تام القدرة، عظيم الحكمة، وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصرًا عظيمًا تيقَّن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين»[1].

(1) تيسير الكريم الرحمن ص188.

وقد تأكَّدت هذه الشهادة بجميع المصادر، وذلك من خلال «شهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فبما أوحاه الله إلىٰ أصدق خلقه، مما يثبت به رسالته. وأما فعله فلأن الله تعالىٰ أيَّد رسوله ونصره نصرًا خارجًا عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه، وهذه شهادة منه له بالفعل والتأييد، وأما إقراره فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، وأنه أمر الناس بإتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط، وحلَّ له ماله ودمه والله يقرّه علىٰ ذلك، فلو تقول عليه بعض الأقاويل لعاجله بالعقوبة»[1].

إذًا فالله ﷻ يشهد بأن محمدًا ﷺ نبي مرسل بلغ الرسالة وأدَّىٰ الأمانة مهما علا صوت الباطل ووجد من يهتف له ويدافع عنه (وكفىٰ بالله شهيدًا).

و(الشهيد) من أسماء الله ﷻ و «معناه: الرقيب عليكم المطلع علىٰ أفعالكم، السامع لأقوالكم. سبحانه لا تخفىٰ عليه خافية»[2].

وقيل: «الشهيد: يرجع معناه إلىٰ العليم مع خصوص إضافة، فإنه تعالىٰ عالم الغيب والشهادة، والغيب عبارة عما بطن، والشهادة عبارة عما ظهر، وهو الذي يشاهد. فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم. وإذا أضيف إلىٰ الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلىٰ الأمور الظاهرة فهو شهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد علىٰ الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم»[3].

فالشهيد إذًا: هو الشاهد علىٰ ما تصدره الحواس من أقوال وأفعال، وما تُسَطِّره العقول من آراء وأفكار تترجمها القلوب علىٰ أرض الواقع، وخاصَّة الباطن منها، والتذييل به دليل صدق ويقين علىٰ حقيقة النبوة المحمدية التي أضاء الله ﷻ بها المشرق المغرب.

---

(1) السابق ص420.

(2) ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها. أحمد عبدالجواد ص136 - دار الريان للتراث - القاهرة.

(3) المقصد الأسني ص96.

القطر الثاني: نزول القرآن الكريم على النبي الخاتم ﷺ

قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]. وينظر: [العنكبوت: 52، والأحقاف: 8].

قديمًا تحدَّى القرآن الكريم أساطين البلاغة وأرباب الفصاحة والبيان فعضوا على أناملهم دلالة على عجزهم وضعفهم أمام إعجازه، وحديثًا صرخت وسائل الإعلام بكثير من الحقائق العلمية والاكتشافات البشرية متناسين أن الله ﷻ قد سطرها في كتابه وأوحى بها إلى نبيه محمد ﷺ وشهد له بذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وأعجزهم كما أعجز من كان قبلهم. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

ويُدير المؤشر قطر هذه الدائرة تجاه مركزها فيصل كتابه الكريم بالشهادة له بأنه منزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، فـ «الله يشهد بتنزيله، إليك ما أنزل من كتابه ووحيه، أنزل ذلك إليك بعلم منه بأنك خِيرَته من خلقه، وصفيه من عباده ... فلا يحزنك تكذيب من كذَّبك وخلاف من خالفك»[1].

فإذا نطق الله ﷻ بالشهادة تطايرت أمامها جميع صحف الناطقين بخلافها، فيطيب الرسول ﷺ بذلك نفسًا، فـ «حسبك بالله شاهدًا على صدقك دون ما سواه من خلقه، فإنه إذا شهد لك بالصدق ربك، لم يَضُرك تكذيب من كذَّبك ...»[2].

القطر الثالث: عبادة غير الله ﷻ

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [يونس: 28، 29].

لسان المرء في حياته دليل صدق وكذب، وعنوان حقّ وباطل، ورمز هدىً وضلالة، ولكن تنزع منه يوم القيامة علامات الرياء والنفاق، وأمارات الكذب

(1) جامع البيان 9/ 409.

(2) السابق الجزء نفسه والصفحة.

والبهتان، ولم يبق له إلا عالم الصدق والحق والهدىٰ الذي سكن فيه قسرًا لا تطوعًا واختيارًا.

فإذا كانت آراؤكم في الدنيا قد تشعبت، وأهواؤكم قد تعددت فأنكرتم توحيد ربكم وأشركتم به، فما عبدتم من دونه يوم القيامة يتبرأ منكم «فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون ممن عبدهم يوم القيامة ويتنصلون من دعائهم إياهم إلىٰ عبادتهم وهم الصادقون البارُّون في ذلك، فحينئذ يتحسر المشركون حسرة لا يمكن وصفها، ويعلمون مقدار ما قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون علىٰ الله، قد خلت عبادتهم، واضمحلت معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب و الوصائل»[1].

فلإنسان قد يبيح لنفسه الكذب في الدنيا، ويعتقد أن لغة الحيلة والمراوغة قد تجدي يوم القيامة فيشرك بالله ﷻ معتقدًا أنه والحقّ قرناء، فتنطق جميع مخلوقات الله التي عبدوها بهذا التذييل الرائع الذي يدرأ كل حجة، ويدفع كل مقولة «الله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلىٰ عبادتنا، ولا أمرناكم بها، ولا رضينا منكم بذلك. وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنهم شيئًا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيوم، السميع البصير، القادر علىٰ كل شيء، العليم بكل شيء. وقد أرسل رسله وأنزل كتبه، آمرًا بعبادته وحده لا شريك له، ناهيًا عن عبادة ما سواه كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36]»[2].

ومع ختام هذا القطر الثالث تكتمل خيوط هذه الدائرة، وتستوفي جميع أركانها في نسيج بديع يبدأ برسالة النبي الخاتم محمد ﷺ، وكذلك نزول القرآن

(1) تيسير الكريم الرحمن ص362.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 265 - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولىٰ 1416هـ-1996م.

الكريم عليه، ثم إتباع الشيطان وعبادة غيره ﷻ من المشركين به، وفي كل ذلك الله عالم بحال عباده شاهد لنبيه ﷺ، فهو ﷻ «العليم بظواهر الأمور وبواطنها علىٰ أتم وجه وأكمله ... أحاط علمًا بالمرئيات والمسموعات والمعقولات والمعنويات وما وراءها من الأسرار المستكنة في القلوب وفي غياهب الغيوب، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ... ويطلق اسم الشهيد أيضًا علىٰ الشاهد المقرّ بما رأىٰ وسمع، وعليه يكون الشهيد من أسماء الله: هو الذي يسمع ويرىٰ ويثبت لعبده ما علمه منه؛ ليجزيه به»[1].

الدائرة الخامسة: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾

لينظر كل مسلم إلىٰ مركز هذه الدائرة نظرة إجلال وتقدير بل قل نظرة إذعان وتسليم لله ﷻ (العليم) الذي يمنح الثقة لأوليائه الذين يرفعون كلمة التوحيد في كل زمان ومكان، ويجعلون الإسلام تاجًا فوق رءوسهم وفي قلوبهم، يدفعهم إلىٰ كل خير، ويقف صدًّا منيعًا بينهم وبين كل شرٍّ، فتنحني العقول والقلوب أمام علمه الذي يحيط به كل الوجود، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولم يمر بمركز هذه الدائرة سوىٰ قطر واحد عنوانه (الطاعة الكاملة لله ورسوله ﷺ)، فتقرُّ بذلك أعين المؤمنين، ويحيون بذلك في عالم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: 69، 70].

قد يفقد الإنسان منَّا الحياة وما زالت جميع أعضائه تعمل بصورة منتظمة فيحمل سمات الأحياء وقد انتهىٰ أجله منذ زمن بعيد، فيعيد إليه هذا العنوان آمالاً

(1) شرح أسماء الله الحسنىٰ آثارها وأسرارها ص206، 207.

فقدها في ماضيه، ويتمنَّىٰ تحقيقها في حاضره ومستقبله، فيبعث الله ﷻ إليه بهذه الرسالة التي تعيد إليه الحياة فتسكن جميع آلامة، فإلىٰ «كل من أطاع الله ورسوله علىٰ حسب حاله وقدر الواجب عليه من ذكر أو أنثىٰ وصغير وكبير (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة (من النبيين) الذين فَضَّلهم الله بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلىٰ الخلق ودعوتهم إلىٰ الله تعالىٰ (والصديقين) وهم الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولاً وعملاً وحالاً ودعوة إلىٰ الله (والشهداء) الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا (والصالحين) الذين صلح ظاهرهم وباطنهم فصلحت أعمالهم، فكل من أطاع الله تعالىٰ كان مع هؤلاء في صحبتهم ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين (ذلك الفضل) الذي نالوه (من الله) فهو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب مالا تبلغه أعمالهم»[1].

فقد يُقَدِّر الناس في الدنيا أعمال المطيعين لله ورسوله ﷺ فتوزن بميزان من ذهب، وقد يخطئون التقدير فيأتي هذا التذييل من أجل إعلاء كلمة الحق وإبطال جميع صور الباطل (وكفىٰ بالله عليمًا).

فـ «العليم معناه ظاهر وكماله: أن يحيط علمًا بكل شيء: ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره، عاقبته وفاتحته. وهذا من حيث الوضوح والكشف علىٰ أتم ما يمكن فيه بحيث لا يتصور مشاهدة وكشف أظهر منه. ثم لا يكون مستفادًا من المعلومات، بل تكون المعلومات مستفادة منه»[2].

والنص القرآني قد أضاف إلىٰ هذا المفهوم دلالات أخرىٰ من الحفظ والإحصاء والجزاء، فـ «حسب العباد بالله الذي خلقهم «عليمًا» بطاعة المطيع منهم ومعصية العاصي، فإنه لا يخفىٰ عليه شيء من ذلك، ولكنه يحصيه ويحفظه،

(1) تيسير الكريم الرحمن ص185.

(2) المقصد الأسني ص61.

حتىٰ يجازيهم جميعًا، جزاء المحسنين منهم بالإحسان، والمسيئين منهم بالإساءة، ويعفو عمن شاهد من أهل التوحيد»[1].

ولكن ما قيمة هذا التذييل في هذا النص وخاصة مع اسم الله العليم؟

هذا التذييل «له موقع عظيم في توكيد ما تقدم من الترغيب في طاعة الله تعالىٰ، لأنَّه تعالىٰ نَبَّه بذلك علىٰ أنه تعالىٰ يعلم كيفية الطاعة وكيفية الجزاء والتفضل، وذلك مما يرغِّب المكلف في كمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيه»[2].

فإن خفيت الحقائق وغابت البراهين عن أهل الدنيا فالله عليم بحال عباده، ولذلك كان هذا التعبير «للإشارة إلىٰ أن الذين تلبَّسوا بهذه المنقبة وإن لم يعلمهم الناس فإن الله يعلمهم والجزاء بيده فهو يوفيهم الجزاء علىٰ قدر ما علم منهم»[3].

ففي التذييل باسم الله (العليم) دعوة إلىٰ إتباع منهجه واقتفاء آثار الصالحين، فجميع أعمال بني البشر مسطورة ومعلومة علم اليقين عند خالقها ﷻ الذي «يحيط بحقائق الأشياء ووقائعها ومكوناتها وأسرارها وآثارها، وصلة بعضها ببعض، وتأثير بعضها في بعض ومدىٰ ما بينها من تقارب وتباعد»[4].

الدائرة السادسة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾

لم يكتف مركز هذه الدائرة باسم واحد فقط من أسمائه الحسنىٰ بل جاء جامعًا بين اسمين الأول منهما رافعًا لواء الهداية، ثم يأتي الثاني بعنوان (النصر والتأييد)، اندمج كل منهما في الآخر اندماج الشبيه بالشبيه والنظير بالنظير مع اختلاف الدلالة بينهما حتىٰ تكتمل صورة الحقّ وتتضح رؤيته فتزداد الثقة في الله و في النفس.

(1) جامع البيان 8/ 535، 536.
(2) مفاتيح الغيب 11/ 141.
(3) التحرير والتنوير 5/ 116.
(4) أسماء الله الحسنىٰ آثارها وأسرارها ص84.

فقد تشرق الشمس في مكان وتغيب في نفس المكان، وكذلك ضوء القمر، وهي رسالة للأنبياء وأصحاب الرسالات بأن دعوتهم إلىٰ الحق تبعث الآمال دائمًا في قلوب الصالحين فتشرق بنور المعرفة واليقين، خلاف مَنْ يأبىٰ إلا أن يحيا في ظلام الجهل والضلال.

و (عداوة الأنبياء والمرسلين) هو عنوان هذا القطر الوحيد الذي يمر بمركز هذه الدائرة، والذي يعلن عن نفسه في كل زمان ومكان ما دامت في الحياة حياة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31].

ما من صاحب رسالة إلا ويقف في وجه دعوته سفهاء يخيل للرائي أنهم ينظرون ولكنهم لا يبصرون، يضعون أيديهم في آذانهم إعراضًا عن سماع الحق حتىٰ ولو تمثَّل لهم الحقُّ جسدًا بشريًّا ماثلاً بين أيديهم تبصره أعينهم، لا يكتفون بذلك بل يمثِّلون معاول هدم لكل قيمة يزرعها الأنبياء في قلوب أتباعهم، ولكن الله ﷻ يكفي أنبياءه مكر هؤلاء وكيدهم بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

فالرسول ﷺ يتألم ويحزن من عدم إيمان قومه، ويزداد ألمه من هجرهم كتاب ربهم، فيبعث بألمه وحزنه وشكواه إلىٰ ربه ومولاه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30]، فيكشف الله عنه الغمَّة بقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ﴾ «أي: كما حصل لك -يا محمد- في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضيين؛ لأن الله جعل لكل نبي عدوًّا من المجرمين، يدعو الناس إلىٰ ضلالهم وكفرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 112، 113]»[1].

(1) تفسير القرآن العظيم 6/ 109.

فهذه رسالة الله إلىٰ نبيه ﷺ حتىٰ يعلم أن هذه هي لغة المكذِّبين في كل زمان، «والمعنىٰ: لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قد لقوا هذا من قومهم»[1].

وقد أهدىٰ الله ﷻ إلىٰ نبيه محمد ﷺ هذا التذييل البديع في ختام الآية بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

فـ «من أسماء الله تعالىٰ سبحانه: الهادي؛ قال ابن الأثير: هو الذي بَصَّر عباده وعرَّفهم طريق معرفته حتىٰ أقرُّوا بربوبيته، وهَدَىٰ كل مخلوق إلىٰ ما لابد منه في بقائه ودوام وجوده»[2].

أو هو «الذي هدىٰ خواصّ عباده أولاً إلىٰ معرفة ذاته حتىٰ استشهدوا بها علىٰ معرفة ذاته، وهدىٰ عوام عباده إلىٰ مخلوقاته حتىٰ استشهدوا بها علىٰ ذاته ...»[3].

والنصير: هو الموثوق منه بأن لا يُسْلِم وليه ولا يخذله[4]، وقد نَصَرَه ينصره نصرًا: إذا أعانه علىٰ عدوه وشَدَّ منه[5].

وعلىٰ ذلك يتم توجيه الآية نحو هذه الدلالة، حيث «يقول تعالىٰ ذكره لنبيه: وكفاك يا محمد بربك هاديًا يهديك إلىٰ الحق، ويبصرك الرشد، ونصيرًا: يقول: ناصرًا لك علىٰ أعدائك، يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين، فإني ناصرك عليهم، فاصبر لأمري، وامض لتبليغ رسالتي إليهم»[6].

وليست هذه الهدية خاصة بالنبي ﷺ فقط بل هي منحة لأمته جميعًا، «﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ أي: لمن اتبع رسوله، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا و الآخرة»[7].

---

(1) تفسير الخازن 5/ 100.
(2) لسان العرب (هـ د ي) 6/ 4638.
(3) المقصد الأسني ص116.
(4) المفردات ص495.
(5) لسان العرب (ن ص ر) 6/ 4440.
(6) جامع البيان 19/ 265.
(7) تفسير القرآن العظيم 6/ 109.

وقد نتساءل عن ضم اسمه النصير مع اسمه الهادي في هذه العبارة، والجواب: «وإنما قال (هاديًا ونصيرًا) لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن إتباع القرآن، لئلا يهتدي أحد به، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن، فلهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان: 31]»[1].

فالله ﷻ هو الذي يهدي ويرشد عباده إلىٰ جميع المنافع، وإلىٰ دفع المضارّ، ويعلمهم مالا يعلمون، ويهديهم الهداية والتوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوىٰ، ويجعل قلوبهم منيبة إليه، منقادة لأمره، نصير لهم ليس كنصر المخلوق ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: 11][2].

الدائرة السابعة: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾

سخَّر بعض الناس طاقاتهم لخدمة الدين وإعلاء شأنه فانحنت لهم كل معالم الفضيلة، ورضيت عنهم كل رموز الأخلاق، فسعدت بهم السماء كما سكنت لهم الأرض، في حين ابتكر غيرهم الضلال بشتىٰ صوره ومختلف أشكاله، فحاولوا بتر النهار قبل أن يسطع ضوؤه، وقتل الموءودة قبل أن تفصح عن نفسها، وتشويه نسمات الإيمان التي تعانق القلوب فأعقبهم الذل والصغار، فأبىٰ الحق أن يؤانس وحدتهم، فعبثت في وجوههم السماء، كما اهتزت بهم الأرض حتىٰ كادت أن تبتلعهم في باطنها لولا تثبيت الله ﷻ لها.

ولكن لم يكن الله ﷻ ليدع الصالحين من عباده يرتمون في أحضانهم ويتسربلون بعباءتهم، فقذف الله في قلوبهم مركز هذه الدائرة، كسبيل لكل ضالّ، وراحة لكل متعب ومجهد، وأمان لكل خائف .﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾.

ومركز هذه الدائرة يمر به ستة أقطار، يُشَرِّق كل قطر منها ويُغَرِّب، تصعقه الحوادث، وتدار له المكائد والمؤامرات حتىٰ ينحرف عن مساره، ولكنه يهتدي

(1) السابق الجزء نفسه والصفحة.

(2) ينظر: شرح أسماء الله الحسنىٰ ص140، 224.

بلطف ربه ورحمته إلىٰ بابه ورضوانه الذي تسكن إليه الجوارح والقلوب، ولا يخيب عنده الرجاء ولا تنقطع عنده الآمال.

القطر الأول: إعلان كلمة التوحيد

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: 132].

في كنف الله ورعايته كل مَنْ يرفع راية التوحيد ويعلن الولاء والبراء، مهما كانت قوة وبطش الخارجين عن طاعته الصادِّين عن سبيله، فالأرض أرضه والسماء سماؤه والملك ملكه والخلق خلقه، وفي ذلك تثبيت لقلوب المؤمنين الموحِّدين.

ثم يأتي التذييل لتأكيد هذه الحقيقة وإزالة كل لبس ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾، كما «قال ابن عباس: يعني شهيدًا علىٰ أنَّ له فيهن عبيدًا. وقيل معناه: وكفىٰ بالله دافعًا ومجيرًا ... وكفىٰ بالله وكيلاً: أي فتوكَّلوا عليه ولا تتوكلوا علىٰ غيره فإنه المالك لما في السموات والأرض»[1].

أو: «هو القائم علىٰ كل نفس بما كسبت، الرقيب الشهيد علىٰ كل شيء»[2].

القطر الثاني: حقيقة عيسىٰ بن مريم

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: 171].

عن طريق نفي الشبهات والأباطيل وإيراد الحقائق والثوابت ثم الخروج بالنتائج والتوصيات يأتي التفصيل الكامل في هذه الآية الكريمة، فيبدأ الحوار بالنهي الأول في توجيه أهل الكتاب بقوله تعالىٰ ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، ثم يأتي النهي الثاني بقوله ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾، ثم تقرير الحقائق في قوله: ﴿إِنَّمَا

(1) تفسير الخازن 1/ 608.

(2) تفسير القرآن العظيم 2/ 431.

ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وأما التتويج بالنتائج فيأتي في قوه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، وثانيًا في قوله: ﴿وَلا تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾، وثالثًا في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، ورابعًا في قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

والتذييل في ختام الآية يؤكد تلك النتائج ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

والوكيل قد تتجه دلالته في النص نحو الدلالة اللغوية، فهو ﷻ «كاف في تدبير خلقه فلا حاجة له إلىٰ غيره، وكل الخلق محتاجون إليه وفقراء إليه وهو غني عنهم»[1].

أو قد تكون الدلالة مجازية، فيصبح (الوكيل)، شهيدًا عليهم، فـ«هو وكيل علىٰ كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101]»[2].

فهما كثر الخارجون عن وجه الحق والناصرون لوجه الباطل فلا تخش أحدًا إلا الله، فالله هو الكفيل بأرزاق عباده والشهيد عليهم.

القطر الثالث: ادعاء الطاعة لله والرسول ﷺ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 81].

تبتسم الحياة في وجوه وقلوب الصاحين الذين يحتكمون إلىٰ منهج ربهم وهدىٰ نبيهم محمد ﷺ، حتىٰ تكاد الملائكة أن تصافحهم في طرقاتهم، ولكن قلوب المنافقين أبىٰ ضوء الإيمان أن يبزغ فيها، فبيَّتوا خداع الرسول ﷺ أو قل

(1) تفسير الخازن 1/ 628.

(2) تفسير القرآن العظيم 2/ 480.

خداع أنفسهم، وذلك بأن أظهروا الولاء والطاعة إذا كانوا في حضرته، ولكنهم إذا خلوا إلىٰ أنفسهم وتركوا مجالسته عادت إليهم طبيعتهم التي تحمل العداء بكل ألوانه وصوره، فكشف الله ﷻ سترهم أمام نبيه، ويوم القيامة يفضحهم علىٰ رءوس الخلائق فتغتال آمالهم وأحلامهم، حيث تصبح صحيفة أعمالهم كتابًا مقروءًا ومسطورًا أمام أعينهم.

ومن أجل دفع خطر هؤلاء المنافقين وتثبيت قلب النبي ﷺ يصدر ربنا ﷻ ثلاثة قوانين خاتمًا إياها بالتذييل تبدأ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ ثم ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ثم ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾: «أي كفىٰ بالله وليًّا وناصرًا ومعينًا لمن توكل عليه وأناب إليه»[1].

القطر الرابع: حفظ الله ﷻ عباده المؤمنين

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ **[الإسراء: 64، 65].**

اهتزت عروش كثير من كبار الملوك والأمراء أمام صولات الشيطان وجولاته، وتوافد كثير من أبناء الجنسيات المختلفة أمام وجباته التي قَدَّمها لهم من صوته وخيله ورجله ومشاركتهم في الأموال والأولاد والوعد والأماني[2]، ولكنه فقد كل أدواته وسلَّم جميع أوراقه في عالم الصالحين، حيث لا سلطان له عليهم بل حفظ الله ورعايته ونصره لهم «(وكفىٰ بالله وكيلاً): أي حافظًا ومؤيِّدًا ونصيرًا»[3].

---

(1) السابق 2/ 364.

(2) ينظر تفسير دلالات هذه الألفاظ في: معاني القرآن للفراء 2/ 127، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج 3/ 250، والجامع لأحكام القرآن 10/ 287: 289.

(3) السابق 5/ 95.

القطر الخامس: التوكل على الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ **[الأحزاب الآيات 1-3].**

ليس ما يعانيه المسلمون في العصر الحديث من اضطهاد في كل مكان وليد اللحظة، وإنما هو نتاج من حرب أقرَّها المشركون قديمًا وأعلنوها أمام سمع الدنيا وبصرها، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تحقيقها، حتىٰ وصل الأمر بهم في هذا المقام أن عرض أبو سفيان وجماعة معه علىٰ رسول الله ﷺ ألا يذكر آلهتهم بسوء وأن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها فأمر بإخراجهم من المدينة[1].

ثم يأتي التذييل الذي يدفع مكر هؤلاء ويرد كيدهم «(وكفىٰ بالله وكيلاً): يعني حافظًا لك، وقيل: كفيل برزقك»[2].

فالله ﷻ وكيل: «لمن توكل عليه وأناب إليه»[3].

القطر السادس: التأكيد علىٰ المبدأ الخامس

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ **[الأحزاب: 48].**

حرصًا علىٰ سلامة النبي ﷺ وحفاظًا عليه من كيد الكافرين والمنافقين وجَّه الله ﷻ له رسالة سابقة أعلنها القطر الخامس، واستمرارًا في الحفاظ عليه أعلنها القطر السادس توكيدًا لها، فمهما حاول دعاة السوء الترويج لبضاعتهم والتسويق لها فالله ﷻ حافظٌ لك، (وكفىٰ بالله وكيلاً) فـ «كل أمرهم إلىٰ الله، فإن فيه كفاية لهم»[4].

---

(1) ينظر السبب في نزول الآيات في الكشف والبيان 8/ 5، 6.

(2) تفسير الخازن 5/ 229.

(3) تفسير القرآن العظيم 6/ 375، 376.

(4) السابق 6/ 437.

وهذه دعوة للإنس بالله وحده دون غيره، ولهذا قال: «(وتوكل علىٰ الله) أمره بالتوكل عليه وآنسه بقوله: (وكفىٰ بالله وكيلاً) وفي قوة الكلام وعد بنصر، والوكيل: الحافظ القائم علىٰ الأمر»[1].

وعلىٰ ذلك فحبات اللؤلؤ قد انتظمت عقدًا واحدًا، والأقطار الستة قد التقت حول مركز الدائرة (وكفىٰ بالله وكيلاً)، فالمسلم عندما يقرُّ بكلمة التوحيد يعترف بحقيقة عيسىٰ بن مريم عليه السلام وما أثبته الله له دون مغالاة أو تحريف، وأما من ادعوا السمع والطاعة فالله يحفظ عباده المؤمنين منهم، والسلامة من كل إثم والفوز بكل برّ يأتي من خلال التوكل علىٰ الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وفي التأكيد علىٰ هذا المبدأ دعوة إلىٰ اتباعه وتحريض عليه مهما ظهر الباطل وقوىٰ أمره فالله ﷻ هو الوكيل «الذي تُفوض إليه أمور خلقه لأنه كافيهم والقائم علىٰ تدبير مصالحهم والكفيل لهم بالرزق والشهيد عليهم»[2].

الدائرة الثامنة: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾

ليتك تطمئن أيها المؤمن وتثق بوعد الله ونصره لك، فمهما علا صوت الباطل وارتفعت به الحناجر فسوف يغيب شمسه وينهدم بنيانه، فما عليك إلا أن تعتصم باسم الله الولي ثم باسمه النصير في دائرة مركزها ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾، وذلك في مواجهة الباطل أمام (استبدال الهدىٰ بالضلالة) والذي يمثل عنوان القطر الوحيد لها.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: 44، 45].

تُجَسِّد الآية الأولىٰ حال اليهود الذين لا يكتفون بإنكار الرسالة المحمدية مع علمهم بصدقها وصدق من جاء بها ولكنهم يدعون المؤمنين لاتباع سبيلهم، ولكن

(1) الجامع لأحكام القرآن 14/ 201.

(2) ولله الأسماء الحسنىٰ ص143.

الله ﷻ في الآية الثانية أظهر كذبهم من خلال علمه بحالهم حتىٰ تطمئن قلوب عباده المؤمنين «وفي ضمنه تحذير عباده من الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم»[1].

ثم يأتي التذييل باسمىٰ الله الولي والنصير حتىٰ تنهار شعارات الباطل ويختفي ظلامه أمام إسفار الصبح، «فالولي جل جلاله: ومعناه مالك التدبير المتولي أمور عباده وأوليائه، فهو وليهم ومولاهم، وناصرهم وراحمهم»[2].

واسمه النصير يقترب من الدلالة نفسها، فلم هذا التكرار، فـ «ولاية الله لعبده عبارة عن نصرته له، فذكر النصير بعد ذكر الولي تكرارًا. والجواب: أن الولي المتصرف في الشيء، والمتصرف في الشيء لا يجب أن يكون ناصرًا له فزال التكرار»[3].

وأما عن السؤال عن «لِمَ لَمْ يقل: «وكفىٰ بالله وليًّا ونصيرًا»؟ وما الفائدة في تكرير قوله: (وكفىٰ بالله) والجواب: أن التكرار في مثل هذا الختام يكون أشد تأثيرًا في القلب وأكثر مبالغة»[4].

فالتوجيه إذًا صريح لا يحتمل التأويل «فإنه يقول: فبا لله، أيها المؤمنون، فثقوا، وعليه فتوكلوا، وإليه فارغبوا دون غيره، يكفيكم أمركم، وينصركم علىٰ أعدائكم (وكفىٰ بالله وليًّا) يقول: وكفاكم وحسبكم بالله ربكم وليًّا يليكم ويلي أمركم بالحياطة لكم، والحراسة من أن يستفزَّكم أعداؤكم عن دينكم، وعلىٰ من بغاكم الغوائل، وبغىٰ دينكم العَوَج»[5].

وعلىٰ ذلك فاستبدال الهدىٰ بالضلالة لا محل له في دائرة مركزها (وكفىٰ بالله وليًّا وكفىٰ بالله نصيرًا).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص180.
(2) ولله الأسماء الحسنىٰ ص149.
(3) مفاتيح الغيب 10/ 94.
(4) السابق الجزء نفسه والصفحة.
(5) جامع البيان 8/ 429، 430.

obeikandl.com

الخاتمة

قام الباحث بتسطير هذه الصفحات في رصد جانب من جوانب الدلالة وبيان أثره في وسط وختام الآيات، ثم عايش آراء المفسرين التي تتنوع ولكنها لا تختلف في أية حالة من الحالات، ثم عجب وازداد عجبًا عندما رأىٰ هذا الإعجاز في مدىٰ دقة التناسب والتوافق بين بداية النص وخاتمته وكأنه زهرة في رياض الجنَّات، لكل موقف سياقه الذي يتعايش مع أهدافه ويحجب ما عداه من الدلالات، فلا تجد ذلك إلا في القرآن الكريم الذي أنزله رب العباد علىٰ محمد ﷺ من فوق سبع سموات.

ومع هذه العناوين البرقية يمكن تقديم بعض الثمرات التي أنتجتها هذه الدراسة: -

1- رصدت الدراسة ثماني دوائر بيانية في (كفىٰ بالله) في القرآن الكريم، قد تستخدم الدائرة اسمًا واحدًا من أسماء الله الحسنىٰ أو اسمين، وذلك بما يتوافق ويتواءم مع أقطارها السبعة عشر التي أنتجتها، وذلك في اثنتين وعشرين آية قرآنية.

2- تأتي دلالة (كفىٰ بالله) في القرآن الكريم إما لتثبيت قلب النبي ﷺ خاصَّة، أو قلوب المؤمنين عامَّة، وذلك في مواجهة الباطل باختلاف أشكاله وألوانه.

3- قد تأتي أسماء الله الحسنىٰ بدلالتها اللغوية في النصِّ القرآني، وقد تخرج إلىٰ دلالة مجازية بسبب ما يوحي وما يحيط به من ظروف وملابسات فتتفوق بعض الدلالات علىٰ الأخرىٰ، وقد يصيبها جانب التخصيص، وقد تجتمع الدلالتان دون ترجيح لأحدهما علىٰ الآخر.

4- قد تتفق بعض أسماء الله الحسنىٰ مع بعضها الآخر في الدلالة العامة ولكن مع وجود جانب التخصيص في كل منها، وذلك كما في اسم الله العليم والخبير والشهيد، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف إلىٰ الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلىٰ الأمور الظاهرة فهو الشهيد.

obeikandl.com

5- قد يأتي مركز الدائرة الواحدة باسمين من أسماء الله الحسنىٰ يبدو وجود التقارب الدلالي بينهما، ولكن أثر الجمع بينهما يدركه من يُقَلِّب الصفحات في شرح هذه الأسماء فلا يلحظ أن فيها تكرارًا، كما في الولي والنصير، فالولي هو المتصرف في الشيء، والمتصرف في الشيء لا يجب أن يكون ناصرًا له فزال التكرار.

6- تكتمل ملامح النص وتعرف أهدافه وغاياته ولكن يبقىٰ للتذييل أثره في التأكيد عليها بما يجعل المسلم دائمًا واثقًا من نصر الله وتأييده له.

7- دائمًا وأبدًا تنادي دوائر البيان في كل ساعة من ساعات الليل والنهار علىٰ من اتبع السُّبُل ونَهَج نَهْج الشيطان أن يعود إلىٰ سبيل ربه الرحيم الرحمن ﷻ.

8- محو آثار الهزيمة النفسية التي يمكن أن تلحق أصحاب الرسالات في مواجهة الباطل عند قراءة هذا العنوان (وكفىٰ بالله).

9- إذا كنت من الأوصياء علىٰ أموال اليتامىٰ فكفىٰ بالله حسيبًا، وإذا كنت من الدعاة إلىٰ الله فكفىٰ بربك بذنوب عباده خبيرًا، ومهما علا صوت الباطل وغابت شمس الحق فكفىٰ بالله وليًّا وكفىٰ بالله نصيرًا، إلىٰ آخر ما تفيض به الدوائر البيانية الثمانية.

10- إن تحقيق الأماني ليس بالتمنِّي ولكن بالعمل واليقين في (كفىٰ بالله)، والتي يكتفي بها العبد عن كل ما سواه فيهتدي إلىٰ طريق الحق والإيمان (وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا).

وفي الختام فقد تختلف أسماء الأوطان، ويباعد بين بني البشر الزمان والمكان، ولكن يظل رباط العلم هو العروة الوثقىٰ التي تجمع بين الحاضر والبادي مع اختلاف الأشكال والألوان، فأرجو من إخواني تبصيري بعيوبي حتىٰ أقف علىٰ حقيقة أمري، وأسأله ﷻ العفو والمغفرة والهداية إلىٰ طريقه المستقيم.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

opelkandil.com

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

(1) أسماء الله الحسنىٰ آثارها وأسرارها د. محمد بكر إسماعيل - دار المنار - الطبعة الأولىٰ 1421هـ-2000م.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق. بهيج غزاوي - دار إحياء العلوم - بيروت 1419هـ-1998م.

(3) بحر العلوم للسمرقندي (تفسير السمرقندي) تحقيق د. محمود مطرحي - دار الفكر - بيروت.

(4) البحر المديد لابن عجيبة - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية 1423هـ-2002م.

(5) البرهان في علوم القرآن للزركشي. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الجيل - بيروت - لبنان - 1408هـ-1988م.

(6) التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور - دار سحنون - تونس 1997م.

(7) تفسير ابن أبي حاتم. تحقيق. أسعد محمد الطيب - المكتبة العصرية - صيدا.

(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولىٰ 1416هـ-1996م.

(9) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) حققه. عبد الرحمن بن معلا - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولىٰ 1420هـ-2000م.

(10) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. تحقيق. أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولىٰ 1420هـ-2000م.

openkanal.com

(11) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تحقيق. هشام سمير البخاري - عالم الكتب - الرياض - المملكة العربية السعودية 1423هـ-2003م.

(12) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر البغدادي. تحقيق. محمد نبيل طريفي، إيميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية 1998م.

(13) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(14) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي - دار الكتب العلمية - 1402هـ-1983م.

(15) شرح أسماء الله الحسنىٰ علىٰ ضوء الكتاب والسنة (توضيح وبيان) سعيد بن علي القحطاني - دار الإيمان - إسكندرية.

(16) علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) د. أحمد مصطفىٰ المراغي- دار الآفاق العربية.

(17) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني - دار الفكر - بيروت.

(18) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبي هلال العسكري. تحقيق. علىٰ محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - بيروت 1406هـ-1986م.

(19) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري - دار الكتاب العربي.

(20) الكشف والبيان للثعلبي. تحقيق. أبي محمد بن عاشور - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 1422هـ-2003م.

(21) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) علاء الدين البغدادي - دار الفكر - بيروت - لبنان - 1399هـ-1979م.

obeikandi.com

(22) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل. تحقيق. عادل أحمد عبد الموجود وآخرين - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولىٰ 1419هـ-1998م.

(23) لسان العرب لابن منظور الإفريقي. تحقيق. علي عبد الله الكبير وآخرين - دار المعارف.

(24) مختصر المعاني. سعد الدين التفتازاني - دار الفكر - الطبعة الأولىٰ 1411هـ.

(25) المصباح المنير للفيومي - مكتبة لبنان.

(26) معاني القرآن للفراء. تحقيق. أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة - الطبعة الثالثة 1403هـ-1983م.

(27) معاني القرآن وإعرابه للزجاج. تحقيق د. عبد الجليل شلبي - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الثانية 1418هـ-1997م.

(28) معجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية - الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث - القاهرة 1409هـ-1989م.

(29) المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية - الطبعة الثالثة 1392هـ-1972م.

(30) مفاتيح الغيب للفخر الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولىٰ 1421هـ-2000م.

(31) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني - مكتبة الأنجلو المصرية 1970م.

(32) المفصل في علوم البلاغة العربية د. عيسىٰ علي العاكوب - دار القلم بالإمارات العربية المتحدة - دبي - الطبعة الثانية 1426هـ-2005م.

(33) المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسني للغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

obeikandl.com

(34) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. تحقيق. عبد الرازق غالب المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت 1415هـ.

(35) ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها. أحمد عبد الجواد - دار الريان للتراث - القاهرة.

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

المقدمة **9**

التمهيد **13**

الدائرة الأولىٰ: وكفىٰ بالله حسيبًا 16

الدائرة الثانية: وكفىٰ به بذنوب عباده خبيرًا 22

الدائرة الثالثة: وكفىٰ بربك بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا 23

الدائرة الرابعة: وكفىٰ بالله شهيدًا 25

الدائرة الخامسة: وكفىٰ بالله عليمًا 30

الدائرة السادسة: وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا 32

الدائرة السابعة: وكفىٰ بالله وكيلاً 35

الدائرة الثامنة: وكفىٰ بالله وليًّا وكفىٰ بالله نصيرًا 40

الخاتمة **43**

فهرس المصادر والمراجع **45**

obeikandl.com